رعب اليهود

البحر: الكامل المجزوء | عدد الأبيات: 141

قال الفقير لعفو ربه الغنيّ/ أبو قُدامةَ المِصريّ «عفا الله عنه»:

عَمَّ الدَّمَارُ، وَلَمْ يَزَلْ ... جُنْدُ الْيَهُودِ عَلَىٰ وَجَلْ

يَتَلَفَّتُونَ بِرَهْبَةٍ ... وَيُرَاقِبُونَ مَنِ ارْتَحَلْ

يَتَرَبَّصُونَ بِعُزَّلٍ ... وَيُفَتِّشُونَ مَنِ ارْتَجَلْ

يَتَوَهَّمُونَ خُطُورَةً ... مِنْ أَيْ شَيْءٍ قَدْ حَصَلَ

إِنْ حَلَّ ظِلُّ ذُبَابَةٍ ... حَسِبُوهُ رَجْمًا مِنْ جَبَلْ

يَتَخَيَّلُونَ قَذِيفَةً ... تُلْقَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ زُحَلْ

فَيُبَادِرُونَ بِقَصْفِ مَا ... يَبْدُو مُثِيرًا لِلْجَدَلْ

بَلْ يَقْصِفُونَ بُيُوتَ مَنْ ... ضَعُفُوا وَدُورَ ذَوِي الْعِلَلْ

وَيُدَبِّرُونَ مَكِيدَةً ... وَالْقَصْدُ مَلْءُ الْمُعْتَقَلْ

وَيُخَطِّطُونَ لِضَرْبَةٍ ... فِي أَيِّ وَقْتٍ مُحْتَمَلْ

وَيُهَيِّجُونَ لِحَرْبِنَا ... كُلَّ الْمَدَائِنِ وَالنِّحَلْ

إِذْ هُمْ أَشَدُّ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَزَلْ
وَيُؤَصِّلُونَ لِبُغْضِنَا بَيْنَ الْعِبَادِ بِلَا مَلَلْ
وَيُبَرِّرُونَ فِعَالَهُمْ لِيُخَادِعُوا أَهْلَ الْمِلَلْ
بَلْ يَنْشُرُونَ فَسَادَهُمْ مَعَ دَسِّ سُمٍّ فِي الْعَسَلْ
وَيُزَخْرِفُونَ شِبَاكَهُمْ كَيْ يُوقِعُوا مَنْ قَدْ غَفَلْ
وَيُسَرِّحُونَ نِسَاءَهُمْ فِي بَثِّ عُرْيٍ مُبْتَذَلْ
وَيُزَيِّنُونَ فُجُورَهُمْ فِي فِلْمِ عِشْقٍ أَوْ غَزَلْ
وَيُحَبِّبُونَ فُسُوقَهُمْ لِلنَّاسِ فِي شَخْصِ الْبَطَلْ
وَيُلَمِّعُونَ لِئَامَهُمْ فَيُقَلِّدُونَ بِلَا بَدَلْ
قَدْ أَحْكَمُوا إِغْوَاءَهُمْ حَتَّىٰ انْغِمَاسٍ فِي الْوَحَلْ
حَتَّىٰ اقْتَدَىٰ بِدُيُوثِهِمْ جُلُّ الذُّكُورِ بِلَا خَجَلْ
إِذْ يُخْرِجُونَ بَنَاتِهِمْ مُتَبَرِّجَاتٍ لِلْعَمَلْ
بَلْ يُغْمِضُونَ عُيُونَهُمْ واللَّحْمُ تَنْهَشُهُ الْمُقَلْ

فَرِحَ الْيَهُودُ بِنَشْرِهِمْ تِلْكَ الْفَوَاحِشَ وَالْعِلَلْ
نَاهِيكَ عَنْ تَرْوِيجِهِمْ لِدُعَاةِ جِنْسٍ مُحْتَمَلْ
مُسْتَكْمِلِينَ بِمَكْرِهَمْ نَشْرَ الْجِدَالِ الْمُفْتَعَلْ
فَيُدَعِّمُونَ بِمَالِهِمْ أَصْحَابَ فِكْرٍ قَدْ بَطَلْ
وَيُشَوِّهُونَ خُصُومَهُمْ وَيُمَجِّدُونَ مَنِ امْتَثَلْ
بَلْ يَدَّعُونَ بِخُبْثِهِمْ دَمْجَ الشَّرَائِعِ وَالْمِلَلْ
وَيُصَوِّبُونَ سِهَامَهُمْ ضِدَّ الْمُكَافِحِ لِلخَطَلْ
وَيُمَارِسُونَ ضُغُوطَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِخْضَاعِ الدُّوَلْ
وَيُكَلِّفُونَ فُلُولَهُمْ زَرْعَ الْقَلَاقِلِ وَالْجَدَلْ
أَمَّا الْخَوَارِجُ عِنْدَهُمْ فَهُمُ النَّمُوذَجُ وَالْمَثَلْ
كَمْ دَعَّمُوا ثُوَّارَهُمْ ! ضِدَّ الْوُلَاةِ عَلَىٰ أَمَلْ
أَنْ يُخْرِبُوا أَوْطَانَهُمْ فَإِذَا بِذٰلِكَ قَدْ حَصَلْ
مَا خَيَّبُوا لِظُنُونِهِمْ بَلْ أَبْهَرُوهُمْ بِالْحِيَلْ

مَـا قَـصَّـرُوا فِي دَوْرِهِمْ: إِحْـدَاثُ فَـوْضَىٰ أَوْ خَـلَلْ
بَلْ بِاجْـتِـهَادِ شُيُـوخِـهِمْ قَدْ أَسْـقَـطُـوا بَعْضَ الدُّوَلْ
فَـرِحَ الْـيَـهُـودُ بِـحَـصْـدِهِمْ تِـلْكَ الْـغِـلَالَ بِـلَا كَـلَلْ
فَـاسْـتَـكْـمَـلُوا تَـدْبِـيـرَهُمْ وَاسْـتَـعْـجَـلُوا بَـدْءَ الْـعَـمَـلْ
مُـسْـتَـبْـعِـدِيـنَ شَـبَـابَـهُمْ عَنْ كُـلِّ خُـسْـرٍ مُـحْـتَـمَلْ
وَيُـسَـوِّلُـونَ لِـغَـيْـرِهِـمْ إِهْـدَارَ وَقْـتٍ فِي الْـهَـبَـلْ
فَـيُـكَـثِّـفُـونَ جُـهُـودَهُـمْ فِي نَشْرِ لَـهْـوٍ قَدْ هَـزَلْ
كَيْ يَـغْـمِـسُوا مَنْ دُونَـهُمْ فِي مَـا أَشَـرُّ مِـنَ الْـكَـسَـلْ
وَيُـحَـيِّـدُوا أَعْـدَاءَهُـمْ حَتَّىٰ يَـنَـامُـوا فِي الْـعَسَلْ
بَلْ يُـفْـسِـدُونَ قُـلُـوبَـهُمْ بِالْـمُـغْـرِيَـاتِ عَلَىٰ مَـهَـلْ
وَيُـخَـدِّرُونَ عُـقُـولَـهُـمْ حَتَّىٰ شُـعُـورٍ بِـالـشَّـلَـلْ
مَعَ زَعْـمِـهِمْ تَـنْـشِـيـطَـهُمْ بِاسْـمِ الـرِّيَـاضَـةِ لِلْـعَـضَلْ
بَلْ قَـصْـدُهُمْ إِشْـغَـالُـهُمْ عَنْ كُـلِّ خَـيْـرٍ لَمْ يَـزَلْ

وَبِشَحْنِهِمْ جُمْهُورَهُمْ مُلِئَ الْمُدَرَّجُ وَاشْتَعَلْ
فَيُشَاتِمُونَ خُصُومَهُمْ وَمِنَ التَّعَصُّبِ مَا قَتَلْ
وَيُحَفِّزُونَ فَرِيقَهُمْ وَيُصَفِّقُونَ إِذَا وَصَلْ
بَلْ يَقْذِفُونَ نِعَالَهُمْ فَوْقَ الرُّؤُوسِ لَدَى الْفَشَلْ
وَيُضَيِّعُونَ صَلَاتَهُمْ فَالْقَلْبُ بِاللَّعِبِ انْشَغَلْ
يَا لَيْتَهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ مَلْعَبٍ تَرَكُوا الْخَبَلْ
بَلْ صَارَ أَعْظَمَ هَمِّهِمْ لَعِبٌ يَدُومُ بِلَا عَمَلْ
فَسَيَدْعَمُونَ فَرِيقَهُمْ حَتَّىٰ يَصِيرَ هُوَ الْبَطَلْ
وَيُقَلِّدُونَ نُجُومَهُمْ قَزَعًا ، وَصَبْغًا لِلْخُصَلْ
وَيُتَابِعُونَ حَيَاتَهُمْ وَيُكَرِّمُونَ مَنِ اعْتَزَلْ
وَبِذِكْرِهِمْ أَمْوَاتَهُمْ تَخْلِيدُ ذِكْرَىٰ مَنْ رَحَلْ
فَرِحَ الْيَهُودُ بِجَنْيِهِمْ ثَمَرَاتِ إِفْسَادٍ حَصَلْ
فَاسْتَأْسَدُوا فِي غَيِّهِمْ مُسْتَكْمِلِينَ بِلَا كَلَلْ

وَتَكَاثَرَتْ حَفَلَاتُهُمْ فِي كُلِّ نَادٍ بِالْحُلَلْ
بَلْ فِي النُّجُوعِ ذُيُولُهُمْ يَتَرَاقَصُونَ عَلَى الطُّبَلْ
فَيُعَمِّمُونَ ذُنُوبَهُمْ وَيَرَحِّبُونَ بِمَنْ دَخَلْ
وَيُمَرِّرُونَ طُقُوسَهُمْ أَثْنَاءَ عَرْضِ الْمُحْتَفَلْ
وَيُبَرِّزُونَ رُمُوزَهُمْ مُسْتَحْضِرينَ بِهَا الدَّجَلْ
فَيُحَقِّقُونَ مُرَادَهُمْ فِي نَشْرِ كُفْرٍ قَدْ شَمَلْ
وَيُعَمِّقُونَ جُذُورَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ بِالْحِيَلْ
وَيُوَسِّعُونَ نُفُوذَهُمْ فِي كُلِّ قُطْرٍ قَدْ وَصَلْ
مَعَ ذٰلِكُمْ فِي قَلْبِهِمْ رُعْبٌ شَدِيدٌ لَمْ يَزَلْ
حَتَّىٰ غَزَىٰ أَحْلَامَهُمْ فَزَعٌ ، وَلَيْسَ بِمُحْتَمَلْ
يَخْشَوْنَ مِنْ صِبْيَانِنَا إِنْ أَتْبَعُوا الْعِلْمَ الْعَمَلْ
أَنْ يَقْتَدُوا بِرَسُولِنَا وَيُحَقِّقُوا كُلَّ الْأَمَلْ
وَلِذَا الْيَهُودُ تَعَمَّدُوا قَتْلَ الصِّغَارِ وَمَنْ حَمَلْ

لَمْ يُخْطِئُوا هَدَفًا كَمَا جَهَرُوا بِزَعْمٍ قَدْ بَطَلْ
بَلْ يُطْلِقُونَ رَصَاصَهُمْ نَحْوَ الرُّؤُوسِ وَمَا اتَّصَلْ
قَبْلَ الْفِرَارِ لِحِصْنِهِمْ مُتَسَرِّعِينَ مِنَ الْوَجَلْ
فِي حِضْنِ دَبَّابَاتِهِمْ مُتَخَوِّفِينَ مِنَ الْفَشَلْ
مَنْ رَامَ يَقْضِي حَاجَةً مِنْهُمْ فَلَا يَخْشَى الْبَلَلْ
إِذْ يَرْتَدِي حَفَّاظَةً فَلَرُبَّ إِسْهَالٍ نَزَلْ
مَنْ لَمْ يَمُتْ رُعْبًا فَلَنْ يَبْقَىٰ إِذَا جَاءَ الْأَجَلْ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَمَاسِكًا أَوْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلْ
فَلَقَدْ يَنَالُ جَزَاءَهُ وَيَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ
وَلَسَوْفَ يَهْرُبُ إِنْ أَتَتْ كُبْرَى الْمَعَارِكِ فِي الدَّغَلْ
أَوْ خَلْفَ أَحْجَارٍ ، فَإِذْ بِالصَّخْرِ يَنْطِقُ بِالْجُمَلْ
وَالزَّرْعُ يَكْشِفُ سِتْرَهُ بِنِدَاءِ مُسْلِمٍ امْتَثَلْ:
«هَذَا يَهُودِيٌّ هُنَا خَلْفِي، تَعَالَ عَلَىٰ عَجَلْ»

فَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ يَتَقَدَّمُونَ بِلَا وَجَلْ
وَيُقَتِّلُونَ جُنُودَهُمْ فِي الْحَالِ ذَبْحًا كَالْحَمَلْ
صَحَّ الْحَدِيثُ وَقَدْ حَوَىٰ بُشْرَى النَّبِيِّ لِمَنْ سَأَلْ
فَاللَّهُ يُظْهِرُ دِينَهُ دَوْمًا عَلَىٰ كُلِّ الْمِلَلْ
وَلَسَوَفَ يَنْصُرُ حِزْبَهُ حَتْمًا وَإِنْ رَكِبُوا الْجَمَلْ
مَا دَامَ أَقْصَىٰ وُسْعِهِمْ بَذَلُوهُ كَالسَّلَفِ الْأُوَلْ
وَلَسَوَفَ يُهْزَمُ حِزْبُ مَنْ يَدْعُونَ بَعْلًا أَوْ هُبَلْ
مَهْمَا عَلَوْا سَيَنَالُهُمْ خَسْفٌ وَإِنْ وَصَلُوا زُحَلْ
سَيُزَاحُ شَرُّ فَسَادِهِمْ وَيُتَاحُ تَرْمِيمُ الْخَلَلْ
وَيُرَاحُ خَلْقُ اللَّهِ مِنْ جُلِّ الْمَكَائِدِ وَالدَّجَلْ
إِذْ أَنَّ أَكْبَرَ مُفْسِدٍ شَعْبُ الْيَهُودِ بِلَا جَدَلْ
أَعَجِبْتَ مِنْ إِجْرَامِهِمْ وَلِأَيِّ حَدٍّ قَدْ وَصَلْ
وَنَسِيتَ حَالَ جُدُودِهِمْ ؟! وَاللَّهُ فَصَّلَ مَا حَصَلْ

عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ وَقَدْ رَأَوُا الْحَقَائِقَ بِالْمُقَلْ
فَاسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَحْقَرُوا الْأَمْرَ الْجَلَلْ
وَتَسَفَّلُوا فَاسْتَبْدَلُوا بِالْمَنِّ وَالسَّلْوَىٰ: الْبَصَلْ
ثُمَّ اعْتَدَوْا فِي سَبْتِهِمْ مُتَحَايِلِينَ بِلَا خَجَلْ
وَاسْتَهْزَؤُوا واسْتَقْبَلُوا حُكْمَ الشَّرِيعَةِ بِالْجَدَلْ
بَلْ قَتَّلُوا رُسَلَ الْهُدَىٰ وَاسْتَنْكَرُوا وَحْيًا نَزَلْ
وَهُمُ الَّذِينَ تَجَرَّؤُوا فِي وَصْفِ رَبِّي بِالْعِلَلْ
قَالُوا: «عُزَيْرٌ نَجْلُهُ، وَالرَّبُّ يَجْهَلُ مَا قَبَلْ
رَبٌّ فَقِيرٌ، ذُو يَدٍ مَغْلُولَةٍ، يَشْكُو الْكَلَلْ»
سُبْحَانَهُ عَمَّا افْتَرَىٰ صِنْفُ الْيَهُودِ مِنَ الْخَبَلْ
إِنَّ الْيَهُودَ وَحِزْبَهُمْ شَرُّ الْخَلَائِقِ وَالْمِلَلْ
طَبْعُ الْيَهُودِ مُقَبَّحٌ وَبِغَدْرِهِمْ ضُرِبَ الْمَثَلْ
إِذْ نَقْضُهُمْ لِعُهُودِهِمْ صِفَةٌ لَهُمْ مُنْذُ الْأَزَلْ

بِئْسَ الْيَهُودُ وَمَنْ دَخَلْ مِنْ خَلْفِهِمْ جُحْرَ الْوَرَلْ
كَيْفَ اسْتَسَاغَ سَبِيلَهُمْ مَنْ رَامَ قَفْزًا فِي الْوَحَلْ؟!
أَعْنِي الَّذِينَ اسْتَحْدَثُوا فِي الدِّينِ بَعْدَ أَنِ اكْتَمَلْ
إِذْ أَنَّ لَازِمَ قَوْلِهِمْ وَصْفُ الشَّرِيعَةِ بِالْخَلَلْ
فَالْزَمْ سَبِيلَ مَنِ اتَّقَىٰ تِلْكَ الْمَنَاهِجَ وَالنِّحَلْ
يَا مَنْ ظَفِرْتَ بِسُنَّةٍ لِلّٰهِ دَرُّكَ يَا بَطَلْ !!
أَبْشِرْ فَقَبْلَكَ مَنْ مَضَىٰ فِي نَفْسِ دَرْبِكَ قَدْ وَصَلْ
إِنْ يَسْتَمِرَّ ثَبَاتُكُمْ فَبِمِثْلِكُمْ لَا يُبْتَدَلْ
مَعَ بَذْلِ أَسْبَابِ الرِّضَا يَأْتِي انْتِصَارٌ عَنْ عَجَلْ
وَلَئِنْ تَأَجَّلَ حِكْمَةً أَطِلِ الدُّعَاءَ، وَلَا تَمَلْ
وَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَاصْطَبِرْ إِذْ أَنَّ مَنْ يَصْبِرْ يَنَلْ
سَتَسِيرُ سُنَّةُ رَبِّنَا فِي خَلْقِهِ مَهْمَا حَصَلْ
سَتَزُولُ دَوْلَةُ مَنْ طَغَىٰ وَتَقُومُ دَوْلَةُ مَنْ عَدَلْ
وَلَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ نَصَرَ العَقِيدَةَ بِالْعَمَلْ

فَاعْمَلْ بِهَدْيِ نَبِيِّهِ ... لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الْكَسَلْ
وَاثْبُتْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ ... وَانْصُرْهُ تُنْصَرْ يَا بَطَلْ
هَٰذَا سَبِيلٌ وَاحِدٌ ... لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا خَلَلْ
فَاسْلُكْهُ تَسْلَمْ غَانِمًا ... وَالْزَمْهُ تَنْجُ مِنَ الزَّلَلْ
وَاعْرِفْ عَدُوَّكَ جَيِّدًا ... وَاحْذَرْ سَبِيلَ مَنِ انْتَحَلْ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ نَاصِرًا ... وَمُؤَيِّدًا لِمَنْ اتَّكَلْ
تَاللَّهِ لَوْ جَمَعُوا الْوَرَىٰ ... بِعَتَادِهِمْ وَبِمَا حَمَلْ
لَنْ يُفْلِحُوا أَبَدًا ، وَإِنْ ... حَشَدُوا جُيُوشًا مِنْ زُحَلْ
لَنْ يُخْمِدُوا مِنْ عَزْمِنَا ... لَنْ يَقْتُلُوا فِينَا الْأَمَلْ
لَنْ يَكْسِرُوا إِيمَانَنَا ... مَهْمَا جَرَىٰ ، مَهْمَا حَصَلَ
لَنْ يَهْزِمُوا إِسْلَامَنَا ... أَوْ يُثْبِتُوا فِيهِ الزَّلَلْ
فَاللَّهُ يَحْفَظُ دِينَنَا ... وَعَلَيْهِ كُلُّ الْمُتَّكَلْ

تمت
بحمد الله تعالَىٰ
بعد عصر يوم الخميس
17 من شهر الله المُحَرَّم 1448 هـ